Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« متحرقة » لكان المعنى أن هناك نارا قد ثبت لها وفيها هذه الصفة ، وجرى مجرى أن يقال : « إلى ضوء نار عظيمة » فى أنه لا يفيد فعلا يُفعل(١١١) . ومثل ذلك قول الشاعر :

أوَ كلما وردت عُكاظَ قبيلة بعثوا إلىَّ عريفهم يتوسمُ

فالفعل « يتوسم » يفيد أن تفرس الوجوه كان عملية متجددة لا تتوقف ، وذلك أدل على كثرة الضحايا الذين فتك بهم الشاعر ، واستوجب تبعا لذلك تعدد العُرفاء الذين أوفدتهم قبائلهم إلى سوق عكاظ ليتعرفوا على شخصيته ويثأروا منه ، ولو قيل : « بعثوا إلىَّ عريفهم متوسما » لما أفاد ذلك حق الإفادة(١١٢) .

وأحيانا أخرى لا يصلح أى من الاسم والفعل مكان الآخر ، والمثال لذلك قوله تعالى فى أصحاب الكهف ﴿ وكلبهم باسِطٌ ذراعيه بالوصيد ﴾ [الكهف : ١٨] ، فيمتنع هنا وقوع الفعل مكان الاسم بأن يقال « وكلبهم يبسط ذراعيه بالوصيد » ، « وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضى مزاولة وتجدد الصفة فى الوقت ، ويقتضى الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولةٌ وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا ، ولا فرق بين « وكلبهم باسط » ، وبين أن يقول : « وكلبهم واحد » مثلا ، فى أنك لا تثبت مزاولة ، ولا تجعل الكلب يفعل شيئا ، بل تثبته بصفة هو عليها ، فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب »(١١٣) .

ويتناول عبدالقاهر المجاز من خلال هذه النظرية أيضا ، ففى رأيه أن حسنه يتضاعف وقيمته الفنية تزداد بالنظر إليه فى موقعه فى نظم معين ؛ فجمال قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ [مريم : ٤] لا يرجع إلى استعارة لفظ الاشتعال لظهور الشيب فحسب ، وإنما لكون هذه الاستعارة قد جاءت فى نظم بذاته ، يتمثل فى إسناد الفعل « اشتعل » إلى « الرأس » معرَّفا بـ « أل » ، ونصب « شيبا » بعده على التمييز . وبهذا النسق فى التعبير أفادت الآية – مع لمعان الشيب فى الرأس الذى هو أصل المعنى – الشيوع والشمول ، وأن الشيب قد

---

(١١١) انظر دلائل الاعجاز ص ١٧٤ – ١٧٦ .
(١١٢) انظر السابق ص ١٧٦ – ١٧٧ .
(١١٣) دلائل الاعجاز ص ١٧٥ .